مدينة بغداد وموقعها العلمي والثقافي والموسيقي في العصر العباسي (750 – 1258م)

حيدر زامل حسين هاشم
جامعة بغداد/ كلية الفنون الجميلة

الملخص:

إن هذا البحث (الوصفي التاريخي) يسلط الأضواء على مدينة بغداد (دار السلام) في العصر العباسي (750–1258م) منذ بناها الخليفة أبو جعفر المنصور في عام (762م) وكيف وقع إختياره لها كعاصمة للدولة العباسية، مع ذكر أهم خصائصها ومميزاتها وما لها من مكانة مرموقة في تطور وإزدهار الجوانب العلمية والفكرية والثقافية بشكل عام، والجوانب الغنائية والموسيقية بشكل خاص. بعد ذلك توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج وختم بحثه بقائمة المصادر والمراجع.

مشكلة البحث:

يمكن تلخيص مشكلة البحث بطرحها على شكل مجموعة من التساؤلات وعلى النحو الآتي :

1. ما هي الأُمور التي جعلت الخليفة أبو جعفر المنصور يختار مدينة بغداد كعاصمة لخلافة الدولة العباسية.
2. ما هو الدور الذي لعبته مدينة بغداد منذ بناها الخليفة أبو جعفر المنصور عام (762م) في المجال العلمي والثقافي بشكل عام والغنائي والموسيقي بشكل خاص في العصر العباسي بتقسيماته التاريخية الثلاث وهي : (العصر الذهبي 750–847) و(عصر الإنحطاط 847–945م) و (عصر السقوط 945–1258م).
3. ما هو الدور الذي لعبه الخلفاء العباسيين في دعم وتشجيع الفنون الغنائية والموسيقية.
4. ما هو الدور الذي لعبه العلماء والمفكرين في ظهور العديد من المؤلفات الموسيقية النظرية والتاريخية.
5. ما هو دور العلماء والمفكرين في ترجمة العلوم الموسيقية الإغريقية .
6. ما هو الدور الذي لعبته القيان في نشر الموسيقى والغناء.

7. ما هو دور آلة العود في الجانب الموسيقي النظري والعملي في العصر العباسي.
8. ما هي الهجمات التي تعرضت إليها مدينة السلام (بغداد)، مروراً بسقوطها بيد المغول وإنتهاء العصر العباسي.

أهمية البحث:

لهذا البحث إضافة معرفية جديدة من خلال تسليط الأضواء على الجوانب الفنية والإقتصادية والسياسية المتعددة والمتنوعة المرافقة للفن الغنائي والموسيقي لمدينة بغداد في العصر العباسي (750 – 1258م). إذ يُعد هذا البحث مصدراً أكاديمياً يفيد المكتبة العراقية والعربية كونه يخدم طلبة وأساتذة المؤسسات الموسيقية بما في ذلك المختصين والمهتمين بمجال التاريخ الغنائي والموسيقي وما كان لآلة العود من دور في مصاحبة هذين الفنين.

هدف البحث:

يهدف البحث إلى تعرف إجابات التساؤلات كافة، الواردة في مشكلة البحث.

منهج البحث:

إتبع الباحث المنهج الوصفي التاريخي للتوصل إلى تحقيق هدف البحث.

مدينة بغداد وموقعها العلمي والثقافي والموسيقي في العصر العباسي (750 – 1258م):

1- العَصر العَبَّاسي الأول (الذهبي 750-847م).

بَغْداد أُم الزَّمن، أُم الحَضارات، أُم العِلوُم والفِنْون التي أضاءتْ ظُلماتْ العِصور، وشَعت بِنورها على باقي الأُمم، فأُخذت مِن علومها الشّيء الكثير.

تُعتبر بغداد من المدن العراقية القديمة "التي تَمتد جذور حضارتها إلى مئات السنين قَبل الميلاد، وهي عاصمة العراق مُنذ عام (762م)" (البياتي، زينب صبحي عبد حسين،2002م ،ص15) فعندما "تَولى أبو جعفر المنصور الخلافة (754-775م) في العَصر العَبَّاسي أراد أن يَتخذ عاصمة للخلافة العَبَّاسية تليق بعظمة دولته وتقوم في موضع يتوسط أقاليمها ويُشرف على أطرافها ويتصل بسهولة بكل جزء من أجزاءها" (بشير فرنسيس،1959م، ص5)، فوقع "إختياره على موقع يتوسط العراق ويمتاز بتلك المزايا والتي دفعته لأن يختار مكاناً لبناء عاصمة دولته الجديدة وكان لإختياره ذلك أبعاداً سياسية وعسكرية وإقتصادية وتجارية" (العميد، طاهر مظفر، 1964م،ص91). إذ كان المنصور يقول عن بغداد: "إنها موقع عظيم لمعسكر حربي فأحاطها بنهري دِجلة والفُرات... وكان يَرى فيها بدون شك موقعاً إستراتيجياً عظيماً. فهي في مأمن من جهة البَر وعلى إتصال مع ذلك بدجلة والفُرات

وقنواتهما، ولأن مواد الشَّام والعراق تأتيها في الفُرات ومواد الموصل وما جاورها تُحمَل إليها في دِجلة. وهي على إتصال كذلك بالمدن الكبيرة والأقاليم الخصبة الداخلية من جهة الخليج العربي" (الأطرقجي، رمزية، 1982م، ص17).

وقد أطلقَ المنصور على بغداد إسم (دار السَّلام) "تيمناً بهذا الإسم الذي سُميت به الجَنة.إذ يقول الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم (واللهُ يَدعُوا إلى دَارِ السَّلامِ وَيَهدِي مَن يَشَاءُ إلى صِراطٍ مُستَقيمِ)[1] صدقَ الله العظيم. وأهم ما يُلفت النظر في هذه المدينة إنها على هيئة دائرية وكانت محاطة بخندق مليء بالماء الغرض منه إيجاد العقبات أمام المهاجم، وفوق الخندق كانت توجد جسور متحركة أمام أبواب المدينة تُبسط لكي يَعبر عليها الداخل إلى المدينة وتُرفع عند عدم الحاجة إليها، وبعد الخندق كان يوجد السور الأول وبه أبراج فخمة مختلفة [للحراسة والمراقبة] وبعده يوجد السور الثاني الذي إمتاز عن الأول بالسماكة والعُلو ويُعد الحصن الحقيقي للمدينة" (أنصار محمد عوض الله رفاعي، 2003م، ص65–66). وكان لمدينة بغداد "سُور ثالث أي سُور المدينة الداخلي وهذا السُور أشبه شيء بحاجِز يلتف حول المنطقة التي تظم القصر والجامع وملحقاتها، وهو لا يداني السُورين الأول والثاني من حيث المتانة والقوة والفخامة " (الأطرقجي، رمزية، 1982م، ص22).

جعل المنصور للمدينة أربعة أبواب هي "باب خراسان، وباب البصرة، وباب الكُوفة، وباب الشَّام" (أمينة بيطار، 1997م ، ص407–408) إذ يقع باب "خراسان في الشمال الشرقي وباب البصرة في الجنوب الشرقي وباب الكُوفة في الجنوب الغربي أما باب الشام فيقع في الشمال الغربي" (بلقيس محسن محمد، 1990م، ص23) "وقد بنى المنصور قصره الذي يعرف بأسماء (قصر الذهب أو قصر باب الذهب أو قصر القبة الخضراء) وجامعه الذي عُرف بإسمه [جامع أبو جعفر المنصور] في وسط المدينة المدورة (بغداد) أي في مركزها" (أمينة بيطار، 1997م، ص 407–408).

وقد جعل المنصور"قصور الأُمراء ورجال الدولة وأبنية مصالح الدولة حوله وبينها الأسواق للبيع والشراء... وكان المنصور يُقيم أولاً في قصر الذهب منتصف المدينة، ثم إطمأن وإزدحمت المدينة، فشيد قصر الخُلد خارج المدينة على شاطئ دِجلة وضَل القصران

[1] القرآن الكريم، سورة يونس، آية 25.

[باب الذهب وقصر الخُلد] مقر الخلفاء بعد المنصور إلى أيام الرشيد[1]، وكان الرشيد يفضل الإقامة في قصر الخُلد وأكثر إقامته فيه" (جرجي زيدان، 1984م، ص5–6). ثم تطورت بغداد "ببناء ضاحيتي الرصافة في الشرق والكرخ في الغرب، فجعلت الأولى بمثابة ثكنات للجيش في البداية ولكنها ما لبثت أن توسعت وظهرت فيها الحدائق والمتنزهات والميادين الواسعة والمباني الفخمة، والثانية بمثابة أسواق للمدينة" (أمينة بيطار، 1997م، ص407–408).

إذ لم تصبح بغداد في عصرها العباسي "عاصمة الإمبراطورية [العراق] ومركز العالم الشرقي فحسب، وإنما موطن الفن والأدب والعلم، بل جميع أنواع النشاط الفكري حتى بلغت روعتها وفخامتها مبلغ الخرافات، وسرعان ما جذبت الأخبار المُنتشرة عن مدينة المنصور العجيبة بِقصريها الرائعين (باب الذهب والخُلد) جذبت المفكرين من جميع الأنحاء، كما جذبت جماعة من الشعراء والموسيقيين" (هنري جورج فارمر، 1965م، ص110) فكتبت بغداد "أروع صفحات تاريخ الموسيقى والغناء العربي في العَصر العَبَّاسي الذهبي من حيث التأليف العلمي النظَري والعملي والبحث الأصيل" (الجزراوي، مهيمن إبراهيم، 2004م، ص15).

إذ "إرتبط الإزدهار الفني والثقافي بالرفاهية المادية والعظمة السياسية والرخاء والإستقرار الإجتماعي لهذا العَصر مما هيأ مناخاً ملائناً بتقدم الفن الموسيقي" (البدر، أحمد جهاد خلف ، 1998م، ص17).

إن موقع بغداد كان له "أثر كبير في بناء حضارتها وتاريخها، لأنها كانت تحتل مركز القلب في الحضارة العربية، وكانت في موقع يضمن لها الرُقي والسمو في زمن قصير لأنها جامعة بين أوروبا وآسيا، وقد أخذ الناس عنها التمدن والحضارة" (الكرملي، أنستاس ماري، 1919م، ص171)، "فقد شيدت فيها المدارس والمستشفيات والمعاهد والقصور الفخمة والمباني الشاهقة" (البياتي، زينب صبحي عبد حسين، 2002م، ص16) "بشكل هندسي رائع، وغُرست فيها البساتين الوارفة والحدائق اليانعة، وإمتلأت بغداد بالساحات الواسعة، منها

[1] بويع الرشيد للخلافة يوم أن مات أخوه الهادي في (14 أيلول 786م) وعمره (25 سنة) ولم يزل خليفة إلى أن توفى في (24 آذار عام 808م) فكانت مدة خلافته (23 عاماً وشهرين و18 يوماً) ".(الخضري، محمد ،2003م، ص101). بينما يذكر هنري جورج فارمر بأن تاريخ وفاته كان عام (809م) (هنري جورج فارمر1956،1م، ص 112).

ساحة كبيرة تقام فيها إستعراضات الجيش، والمباريات الرياضية، وألعاب الفروسِية، كالرماية وسباق الخيل والمصارعة، ووضعت بطرقاتها المصابيح المنيرة ليلاً، وإزدهرت بالمساجد الكبيرة تعلوها المآذن الشامخة" (العلاف، عبد الكريم، 1969م، ص9)، "وإنتشرت دور الكتب العلمية والأديبة، وظهر في هذا العصر علماء كتبوا العديد من الرسائل والمخطوطات والكتب في مواضيع المعرفة المختلفة، وأصبحت بغداد مركزاً سياسياً وإجتماعياً وإقتصادياً عالمياً لينافس سائر مراكز الحضارة في العالم، وكذلك فقد كانت مركزاً بارزاً للعلوم والآداب ودخلت الموسيقى العربية عصرها الذهبي آنذاك وسرعان ما جذبت بغداد المفكرين من جميع الأنحاء كما جذبت الشعراء والموسيقيين، ولذلك فقد كانت مركزاً للنشاط الإجتماعي والفكري" (البياتي، زينب صبحي عبد حسين، 2002م، ص 16)، "حتى إن مؤرخ الأدب والغناء في هذا العصر لا يكاد يؤرخ إلا لبغداد... وكل نابغ في شعر أو فن لا يجد مشترياً لسلعته إلا في بغداد ملتقى الشعراء والفنانين والأُدباء" (الأطرقجي، رمزية، 1982م، ص85).

كانت بغداد عروس الدنيا وبهجتها في عَصرها العَبَّاسي الذهبي "وإفقاً عظيماً ذات صيت بعيد وذات سمعة لا تضاهيها سمعة، فلا عجب أن يأخذ الآخذون منها بعض معالمها الحضارية وثقافتها... وتقاليدها المتوارثة" (الحنفي، جلال، 1989م، ص14).

وتذكر الأطرقجي بان الخطيب البغدادي وصف في كتابه [تاريخ بغداد أو مدينة السَّلام ص25] مدينة بغداد بقوله: "لم يكن لبغداد نظير في جلآلة قدرها، وفخامة أمرها، وكثرة علمأئها وأعلامها وعظيم أقطارها، وكثرة دروبها ومنازلها وشوارعها ومساجدها وحماماتها وخاناتها، وطيب هوائها وعذوبة مائها وبرد ظلالها، وإعتدال صيفها وشتائَها، وصحة ربيعها وخريفها" (الأطرقجي، رمزية،1982م، ص217).

ولشدة إعجاب الناس ببغداد كثر القول في وصفها، فقد قيل في بغداد أيضاً: "إن من لم يرى بغداد لم يرى الدنيا" (الجبوري، جميل، 1987م، ص85). وكذلك قيل فيها: "من أقام ببغداد ومات فيها، نُقل من جَنَّة إلى جَنَّة" (الحجية ، عزيز جاسم، 1981م، ص5)، وهذا ما تظهره لنا بتعابير غاية في الحماس "صفحات طويلة من الموسوعات والوقائع التاريخية العريقة مثل كتاب (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني و(مروج الذهب) للمسعودي و(العقد الفريد) لإبن عبد ربه و(ألف ليلة وليلة) التي خلدت رُقي بغداد" (الهاشمي، عادل، 1985م، ص546). إذ كان لبغداد "دورها العظيم في إزدهار الحضارة العربية التي [إمتدت] وإنتقلت إلى بلدان العالم أجمع" (تقي الدين عارف، 1985م، ص50).

وهنا نود أن نبين "إن العَصر العَبَّاسي (750–1258م) هو العصر الذهبي للخلافة العربية الإسلامية، والعصر الذي إكتملت فيه حضارتها ونضجت، وعصر شمل حُقبة زمنية تزيد على خمسة قرون" (أمينة بيطار،1997م، ص ج). ويتكون العَصر العَبَّاسي من "ثلاث دورات في الحقب الثقافِية، يمكن تقسيمَها إلى العَصر العَبَّاسي الذهبي (750–847م) وعصر الإنحطاط (847–945م) وعصر السقوط (945– 1258م) تبعاً للتقسيم التاريخي [المتبع في الدراسات التاريخية]" (هنري جورج فارمر، 1956م، ص109).

"ينتسب الخلفاء العَبَّاسيون [حكام] الدولة العَبَّاسية إلى العَبَّاس بن عبد المطلب عم الرسول الكريم 6 ، الذي كان على قيد الحياة حين توفى الرسول فقد تسلم أحفاده حكم الخلافة العربية الإسلامية أثر قيامهم بثورتهم التي أعدوا لها إعداداً كبيراً وإستطاعوا بذلك أن يطيحوا بالخلافة الأموية وأن يرسوا قواعد الخلافة العَبَّاسية على أنقاضها" (أمينة بيطار، 1997م، ص ج).

وفيما يتعلق بالفنون عموماً وفن الموسيقى خصوصاً وكذلك الإزدهار الثقافي لا يتواجد "إلا حيثما يسود الإستقرار والرخاء ويرتقي الفكر ويتم صقل الحضارة" (الشوان، عزيز، 1990م ، ص49). وأما أحوال الموسيقيين فكانت متميزة آنذاك فقد "سما قدر أهل الموسيقى حتى إتخذ الخليفة منهم نديماً وجليسا" (الحفني[1]، محمود أحمد، د.ت، ص35)، " إذ كانت السلطة المتمثلة بخلفاء العَصر العَبَّاسي، الدور الفعال والإيجابي في تشجيع الفنون والآداب والعلوم وبالتالي الفن الموسيقي والغنائي نتيجة للمستوى الإقتصادي المتحقق آنذاك" (الأوسي، طارق محمد علي كاظم، 2010م، ص11)، فإزدحم البلاط العَبَّاسي "بالموسيقيين والقيان[1] الذين لقوا معاملة حسنة كريمة لم يسمع بمثلها. ولا تزال يضرب بذكرها المثل عند عرب اليوم" (هنري جورج فارمر،1956م، ص119).

وكان للغناء موقعاً مهما في الحياة أبان العَصر العَبَّاسي إذ ويذكر إبن خلدون الغناء في مقدمته فيقول: "ما زالت صناعة الغناء تتدرج إلى أن إكتملت أيام بني العَبَّاس، وفعلاً إن الموسيقى العربية ظلت تتدرج في مدارج الرُّقي وتسير من حسن إلى أحسن ومن كامل إلى أكمل حتى إكتملت في العَصر العَبَّاسي (العصر الذهبي للموسيقى العربية)" (العقيلي[1]، مجدي، د.ت، ص172).

[1]القيان: " مفردها قينة أي الجارية المغنية". (الذهبي، محمد عبد الرضا، 1991م، ص42).

إن إهتمام الخلفاء العَبَّاسيين بالعلماء والموسيقيين "أدّى إلى ظهور المؤلفات الموسيقية النظرية والتاريخية في علم الموسيقى وتثبيت قواعدها وأُسسها ونظرياتها من قبل العلماء، أمثال الكندي والفارابي وإبن سينا والأرموي" (الجزراوي، مهيمن إبراهيم، 2004م، ص12). كما تميز العَصر العَبَّاسي (750–1258م) "بإحتضان الخلفاء لرجال الفكر والفن ومبدعيه ومؤيديه، وذلك ضمن حماسهم الشديد لرفع مستوى مكانة مركز حكم دولتهم، وكان بين الخلفاء، المغني، الشاعر و الملحن وعازف العُود" (الإختيار، نسيب، 1955، ص9). من أمثال "المهدي وهارون الرشيد والمأمون والمعتصم والواثق، وكانت مجالسهم ملتقى لرواد الفِكر والعِلم والأدب والفن" (محمد فريق محمد، 2014م، ص23).

ومن الأشياء التي تبين تقدير ورعاية هذا الفن بين الخلفاء" إن الخليفة إذا أراد أن يختار من بين أبنائه من يعهد إليه بالأمر من بعده، لا يكتب لهُ بذلك عهداً، وإنما كان يأذن لمغن لهُ خاص يغني عنده وبعد خروج المغني منه يدخل المهنئون ويهنئونه بولاية العهد" (العلاف، عبد الكريم، 1963م، ص28). كما إن للخلفاء طبع مميز في مكافأة المغنين والعازفين فمن "شدة تأثر الخلفاء العَبَّاسيين بالغناء أو بأصوات بعض المغنين وإندفاعهم في الطرب، كان يطلب الخليفة أحياناً من المغني الذي أطربِه أن يسأل حاجته، وقد تكون مبلغاً من المال أو العفو عن شخص، أو تعيين شخص في مَنصب من المَناصب" (الفريح، سهام عبد الوهاب، 1981م، ص62).

ولقد أمسى الفن الموسيقى ذو مكانة مميزة في الحياة الإجتماعية أبان العَصر العَبَّاسي إذ بات "الغناء ضرورة من ضروريات حياة العَبَّاسيين، لا يعيشون إلا بِه ولا يرون الحياة سهلة وجميلة إلا على عزف الأعواد ونقر الدفوف وترنيم الأشعار وألحان الغناء" (العمروسي، فايد، د.ت، ص22)، "فلا تجد مغنياً مشهوراً في الحجاز أو الشام إلا وذهب إلى العراق [للدراسة] إذ تكونت العديد من مدارس الغناء والموسيقى وكثر فيها الأساتذة والتلامذة، بحيث غطت هذه المدارس على حركة الغناء القديمة في كل من الحجاز والشام" (شوقي ضيف، 1979م، ص 112).

وفي العَصر العَبَّاسي تقدمت الموسيقى العربية "أكثر مما تقدمت في أي حقبة أُخرى، ويرجع هذا أول ما يرجع إلى سببين يمكن رؤيتهما منفصلين تمام الإنفصال هما الثروة الصناعية والهدوء السياسي" (هنري جورج فارمر،1956م، ص108،124). وقد أفاد هذا التقدم "الموسيقى وآلآتها إفادة كبيرة، حتى غدت هذه الآلآت ليس جزءً من تراث العالم

العربي فحسب، بل تجاوزت أيضاً الحدود القصوى للمماليك الإسلامية. فنجد العُود في أوروبا، كما نجده في مختلف المناطق كأفريقيا وآسيا" (الهاشمي، عادل، 1985م، ص564).

كما تقدمت الموسيقى العربية آنذاك بجوانب مختلفة إذ "إن كل الذي كتب عن الموسيقى العربية في القرن التاسع [الميلادي] كان كثيراً للغاية، وإن جميع النظريات والقواعد والموضوعات الموسيقية التي عولجت في هذه المؤلفات قد دُرِست بدقة وأناة وصبر طويل، فإحصاء الأغاني التي صنعها كبار الموسيقيين ورددها كبار المغنين، تم حصرها وتنقيحها وتبويبِها، ثم تسجيلها والتعليق عليها، وخلاف ذلك من أبحاث التأليف وترتيب الأصوات وعلاقة الموسيقى بالشعر وعلوم النسب والمسافات الموسيقية وتصوير الأنغام وتركيب الأصوات والأوزان والإيقاع[1]. كل ذلك وكثير غيره من العلوم الموسيقية قد بحثه العرب ووصلوا إلى نتائج طيبة إلى وقتنا هذا" (الحفني، محمود أحمد، و إبراهيم شفيق، د.ت، ص ي).

"لقد كان للموسيقى العربية في العَصر العَبَّاسي نهضة وإرتقاء، إذ إزدهر فيه التأليف الموسيقي والأداء والبحث العلمي وصناعة الآلآت الموسيقية، هكذا تقول المخطوطات التي تركها لنا الأقدمون" (الشوان، عزيز،1990م، ص346).

وقد إعتنى العرب بالتدوين الموسيقي بشكل ملحوظ إذ "إن دقة الكندي في تدوين الموسيقى بالحروف[العربية الأبجدية] في (رسالته في خبر تأليف الألحان)، وما أورده صفي الدين الأرموي في كتابيه [الأدوار والنجاة] دليل على عناية كتَّاب العرب وعلمائهم بِهذه الناحية وأسبقيتهم لمعاصريهم" (الحفني، محمود أحمد، و إبراهيم شفيق، د.ت، ص45)، كما وإن "العرب هم أول من وضع القوالب الموسيقية في شكل الموشحات والنوبات الأندلسية، وأول من تناولوا بالبحث علم توافق الأصوات الموسيقية وتنافرها... فلنا أوليات كثيرة في هذا الفن تلقفها علماء الغرب وسبقونا في تطويرها وتحسينها والإستفادة منها في النهوض بموسيقاهم مسايرين روح مختلف العصور" (الشوان، عزيز،1990م، ص346).

1 للإستزادة عن الإيقاعات وأزمنتها المستعملة في العَصر العَبَّاسي. يُنظر: (الأرموي، صفي الدين عبد المؤمن، 1980م،ص 154–156). ويُنظر:(الأرموي، صفي الدين عبد المؤمن،1982م، ص209–210). ومن الجدير بالذكر إن سليم الحلو ذكر هذه الإيقاعات بأزمنة مختلفة. للإستزادة ينظر:(الحلو، سليم، 1975م، ص268–270). ويُنظر:(خشبة، غطاس عبد الملك، 2009م، ص49–72). ويُنظر:(زكريا يوسف، 1962م،ص21–24). ويُنظر:(الرجب، هاشم محمد، 1967م، ص24–38).

ذكر نبيل شوره "بأن الموسيقى العربية دخلت عصرها الذهبي آنذاك حيث زادت النغمات وتنوعت وشاع إستعمالها. ولم يعد العرب ينظرون إلى الموسيقى بشطر عين ويأبون إحترافها. وتَجمَّع في هذا العَصر العباقرة من العلماء الموسيقيين نذكر منهم أبو يوسف يعقوب بن إسحق الكندي، وأبو نصر الفارابي، وأبو [علي] الحسين إبن عبد الله إبن سينا، و صفي الدين عبد المؤمن الأرموي" (نبيل شوره، 1987م، ص101).

وقد كان لهذا الإزدهار الموسيقي الدور المهم في تأسيس "أول جامعة عربية لدراسة العلوم والفنون بناها الخليفة المأمون (813–833م) إبن الخليفة هارون الرشيد [في بغداد] وأسماها بيت الحكمة" (الخلعي، محمود كامل، 1975م، ص22)، "وإشتغل فيها فطاحل العلماء ومنهم يحيى بن منصور وبنو موسى" (الحفني[1]، محمود أحمد، د.ت، ص38)، "وكان بنو موسى وأسماؤهم محمد وأحمد والحسن أبناء موسى بن شاكر، من أوائل علماء الجبر، وكانوا من أشهر علماء عصرهم، وقد هَوُو العلوم الهندسية... والموسيقى والفلك" (هنري جورج فارمر،1956م ، ص150) إذ عنوا "بترجمة علوم اليونان التي من بينها العلوم الموسيقية، ونسج الخلفاء بعد المأمون على منواله، فشجعوا الفلاسفة والعلماء لإستقراء كنوز العلوم اليونانية والوقوف على أسرارها وترجمتها. وقد ظهر ذلك جلياً في المؤلفات الموسيقية للكندي والفارابي وإبن سينا" (الحفني[1]، محمود أحمد، د.ت، ص38). ويبين صالح المهدي "بأن هؤلاء الفلاسفة والباحثون درسوا الكتب الموسيقية اليونانية وتجاوزوها في تأليفهم" (المهدي، صالح، 1975م، ص13).

وكان "تشجيع الخليفة المأمون ذا أهمية كبيرة للثقافة الموسيقية والعلم عامة" (عمر رضا كحالة، 1972م، ص294)، وكان لتأسيس بيت الحكمة جانباً مهماً في الحياة الإجتماعية عامة إذ "عُدَّ نقطة إشعاع فكري وبداية إحتكاك ثقافي في العلوم والفنون والآداب الأجنبية" (محمد فريق محمد، 2014م، ص23).

ويمكننا أن نبين أهم الإنجازات للعصر العَبَّاسي البغدادي في مجال الموسيقى والغناء على وفق ما ذكره محمد محمود سامي حافظ إذ يقول: "ظهر عازفين ماهرين على الآلآت الموسيقية وزادت المقامات والإيقاعات وتعددت وتنوعت الآلآت الموسيقية وتَداول البعد الشرقي المعروف (بوسطى زلزل)... وظهر الموال، كما وظهر فطاحل الغناء والعزف أمثال (زلزل عازف العُود الذي أجرى مجموعة تحسينات على هذه الآلة، وبرصوم عازف الزمر، وإبن جامع، وإبراهيم الموصلي، وإسحق الموصلي، وحكم الوادي، وزرياب، وآخرون)"

(محمد محمود سامي حافظ ،1971، ص64). "وإشتهر من المغنيات جماعة منهن (فريدة، وبذل، وذات الخال، ومُتيم، وعَريب، ودنانير، وغيرهن كُثر)" (شوقي ضيف، 1987م، ص61). كما وإستعملت الحروف [العربية] الأبجدية في التدوين الموسيقي... و بواسطة العُود ظهرت... [مصادر] موسيقية عالجت نظريات الموسيقى العربية من أجناس وإيقاعات ومقامات وخلافه" (محمد محمود سامي حافظ، 1971م ، ص64).

"وكان في العَصر العَبَّاسي كثير من دونت لهم صنعة في الموسيقى والغناء من الأشراف والأعيان والأمراء ومن أكابر القادة ومن أبناء الخلفاء والخلفاء أنفسهم. ونذكر من أبناء الخلفاء عُليَّة بنت المهدي وقد قيل إنه ما إجتمع في جاهلية ولا إسلام أخ وأُخت أحسن غناءً من إبراهيم بن المهدي وأُخته عُليَّة... ومنهم أبو عيسى بن الرشيد وكان جيد الصنعة وله أغانٍ منسوبة إليه ومعروفة بِه، ومنهم عبد الله بن موسى وكان من أضرب الناس بالعُود وأحسنهم غناءً،... ومنهم عبد الله بن محمد الأمين، ومنهم أبو عيسى بن المتوكل،... ومنهم عبد الله بن المعتز. وأما الخلفاء... فأن الواثق كان أحذق من غَنَّى بضرب العُود وكان يغني الشعر البليغ من محدث وقديم. وكان المنتصر بالله حسن العلم بالغناء والشعر... ومنهم المعتز بالله وكان يغني أصواتاً، ومنهم المعتمد على الله وهو من له يد في الغناء وصنعة حسنة" (عبد الرحمن صدقي، 1957م، ص325).

ويذكر شوقي ضيف" إن المهدي [775–785م] هو أول خليفة عباسي يَحتفل بِهذا الجانب، إذ كان يحب القيان وسماع الغناء، ثم يأتي هارون الرشيد [786–809م] فيبالغ في ذلك ويجعل من المغنين والموسيقيين مراتب وطبقات" (شوقي ضيف، 1987م، ص95–60)، فكان "الخليفة هارون الرشيد أول من جعل الموسيقيين... [بِهذا التصنيف] تبعاً لكفاءتهم ومقدرتم الفنية، فالفئة الأولى تشمل كبار المغنين كإبراهيم الموصلي، والثانية تضم من هم أقل درجة من الطبقة السابقة ومن بينهم المغني سليم بن سلام وعمرو الغزال وغيرهما، والمرتبة الثالثة ضمت أصحاب المعازف والطنابير" (البدر، أحمد جهاد خلف، 1998م، ص17).

إن الذي قصدنا إليه "من تعداد ممن دونت لهم صنعة في الموسيقى والغناء من أبناء الخلفاء والخلفاء، هو أن نقارن هذا الحال بما كان عليه الحال من قبل حين لم يكن يشتغل بِهذا الفن غير الموالي[1] والمخنثين[2]، لنعلم مقدار ما إرتفع إليه قدر الغناء والموسيقى وما

[1]الموالي: تعني "المعتق، الولي المحب، التابع، الصاحب.

صارا إليه من عظيم المكانة ووآفر الحرية في بغداد في عصرها الذهبي" (عبد الرحمن صدقي، 1957م، ص325).

وقد تجاوز موضوع الغناء كونه وسيلة مجردة للترفيه فنجد عامل النقد حاضراً حيثما ورد سهو أو خطأ إذ "كانت مجالس الغناء في بغداد تشبه أن تكون مجالس علم لدراسة هذا الفن وتهذيبه وإن أحدهم إذا سمع خطأ في لحن لا يحجم عن الإنتقاد ويبين موضع الخطأ مهما عظم المجلس وشأن صاحبه غير هيَّاب ولا وجل. وكثيراً ما تقع منافسات ومجادلات شديدة مما يدل على إن الغناء له صبغة جدية تفوق صبغة اللهو والطرب. إذ إن الغناء في عهد الدولة العَبَّاسية إرتقى حتى بلغ أوجه فلا ترى في دار السلام (بغداد) إنساناً مؤسراً وليس في بيته قينة تطربه برخيم صوتها ونغمات عودها" (العلاف، عبد الكريم،1963م، ص28).

وإنعكس إهتمام الخلفاء بالغناء من خلال عقد المناظرات الموسيقية "فكثيراً ما كان يَعقد الرشيد مجالس للمناظرة في الغناء ليتبارى أنصار الغناء القديم وهم جماعة إسحق الموصلي، وأنصار الغناء الحديث وهم جماعة إبراهيم بن المهدي، فكان كل فريق منهما يجلس في جانب من المجلس. حتى إذا إنتهى المجلس منح الرشيد جُلساءه جوائزهم فكانت الجائزة تتراوح بين خمسمائة وألف دينار[3]" (الأطرقجي، رمزية،1982م، ص330).

لقد بلغ "الغناء في عهد الرشيد غايته سيراً مع تلك النهضة الشاملة لأنواع العلوم والفنون، وتوغل في سائر طبقات المجتمع فمارسه الناس على إختلاف طبقاتهم. وإجتمع في قصر الرشيد عدد كبير من الجواري المغنيات والعازفات على مختلف الآلآت الموسيقية وكان الرشيد يجيد معرفة الأصوات ومخارجها وأصبح من أشهر الناس في التمييز بينها. وكان إبراهيم الموصلي يغني للرشيد على عزف زلزل لآلة العُود" (الأطرقجي، رمزية،1982م،

---

[2]المخنثين: وهم المتشبِهين بالنساء في سلوكهم ولبسهم وحركاتهم وكلامهم". وكما وجدت في قاموس المعاني في نسخته الالكترونية على شبكة الإنترنت إذ تمت الزيارة في 2014/12/10م:-http://www.almaany.com/ar/dict/ar/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AE%D9%86%D8%AB%D9%8A%D9%86

[3] " سُكت هذه الدنانير الذهبية في العاصمة مدينة السلام [بغداد] وإن الوزن الشرعي للدينار هو مثقال واحد ويعادل (4،25) غرام.(القيسي، ناهض عبد الرزاق، 2002م، ص166). ولرؤية صور الدنانير في عهد هارون الرشيد ينظر: (القيسي، ناهض عبد الرزاق، 2002م، ص167-180).

ص328) إذ إحتلت هذه الآلة (العُود) مكانة مرموقة ومميزة بين يدي المغنين والعازفين والعلماء آنذاك وإلى وقتنا الحاضر.

"إن الموسيقى والغناء مرحلة حضارية راقية، لا تصل إليها الأُمة إلا بعد تطورها، وتفهمها العميق للحضارة، وإلا أن تكون الأُمة مرهفة الذوق مصقولة الحواس [كما كانت بغداد في عصرها الذهبي]. لأن فهم الموسيقى والشعور بجمال الأنغام، والتمتع برقة الغناء، والإهتزاز [الرقص] لروعة الأداء. كلها أُمور تحتاج إلى قابلية حضارية، وإلى مران فني، ورهافة حس، لا يمكن أن تكسبها الأُمم بسهولة وبيسر وجيل واحد. وعناية الأُمة بالموسيقى والغناء، وفهمها، وتذوقها، دليل على إن الأُمة قد قطعت شوطاً بعيداً في الحضارة، لأنها ترف حضاري يعكس درجات رُقيها الفني والحضاري" (العلاف، عبد الكريم،1963م، ص ج).

وفي هذا العَصر العَبَّاسي وجدت ضروب الغناء المختلفة "فكان هناك الغناء العادي [المجرد من الآلآت الموسيقية] كما كان هناك الغناء المصحوب بجوقة والآخر الذي كان يُصحب بالرقص. وروى صاحب الأغاني [أبو الفرج الأصفهاني، الجزء الخامس] إنه إجتمع إبراهيم الموصلي وزلزل وبرصوماً بين يدي الرشيد، فعزف زلزل بالعُود، وزمر برصوماً بالمزمار، وغنى إبراهيم. ونمى الرقص[1] نمواً عظيماً حتى لنرى إن المسعودي يُفرد له [الجزء الثامن] في كتابه (مروج الذهب) وفيه نراه يقيسه بمقاييس الغناء من خفيف ورمل وهزج ونحو ذلك" (شوقي ضيف ،1987م، ص62).

وفي السياق ذاته نتطرق لذكر القيان اللواتي كن يتعلمن الموسيقى والغناء في العَصر العَبَّاسي، والذي يكون "عادةً على [أيدي] الفنانين الكبار، كما كان الحال في العَصر الأموي [661– 750م] وكن في أغلب الأحيان يتعلمن في مدارسهن الموسيقية... وكان الفنانون يطلبون أثماناً عالية مقابل هؤلاء الموسيقيات، لأنهنَّ كن مجيدات إجادة رفيعة دائماً، لا في الموسيقى وحدها، بل في فروع الثقافة الأُخرى. ونقرأ عن قيِّنة متبحرة في النحو، والشعر، والفقه، والتفسير، والفلسفة، وعلم الموسيقى، والرياضة، والمساحة، والهندسة، وأساطير القدماء، والقرآن، والحديث، والطب، والمنطق، والبلاغة، والبيان، وفن عزف العُود" (هنري جورج فارمر، 1956م، ص121–122).

[1] للإستزادة عن موضوع الرقص. ينظر:(النحوي، أبي طالب المفضل بن سلمى، 1985م، ص51–54).

وقد شيد "إبراهيم الموصلي مدرسة للمغنيات ولو قابلناها بالمدارس الحالية لقلنا عنها إنها كانت (كُلِّية)، إذ فيها كانت المغنيات يتلقينَّ عدا الغناء والإيقاع، علم النحو والحقوق والشعر والشرح والفلسفة والرياضيات والطب والمنطق والخطابة" (جميل شوريز، د.ت، ص23) "مما زاد من قيمتهن الثقافية والمادية عند بيعهن" (باشا، أحمد تيمور، د.ت، ص21).

"ومن يقرأ كتاب الأغاني [لأبي فرج الأصفهاني] يُخيل إليه إنه لم يكن في العَصر العَبَّاسي في بغداد إلا الغناء والمغنون والمغنيات، ولعل مما يدل على قيمة الغناء إنَّ الجارية إذا كانت مغنية قُوِّمت تقويماً ممتازاً، فيذكر إن جارية عرضت بثلاثمائة دينار فلما علمها إبراهيم بن المهدي الغناء عُرض في ثمنها ثلاثة آلاف دينار، كما كان في دار إبراهيم الموصلي ثمانون جارية يعلمهن فن الغناء" (شوقي ضيف،1987م، ص61).

كانت بغداد في عصرها العَبَّاسي "تغص بالجواري[2] حتى كنَّ في بعضها يُزاحمنَّ الرجال في الطريق... وكانت هذه الجواري من مختلف الأجناس والألوان. يجلبِهن النخاسون [تجار الرقيق] أكثر ما يجلبوهن إلى... بغداد. ويتكلف عمالهم مشاق الأسفار والطواف في الآفاق في طلبهن. فقد كانت سوقهن نافقة، وتجارتهن من المتاجر الدارَّة الرابحة، لإقبال الكثير من العامة على إقتنائهنَّ، وتنافس الخاصة في الإستكثار منهنَّ والمغالاة في أثمانهنَّ" (عبد الرحمن صدقي، 1957م، ص334–336).

إنَّ الجواري الذي لهنَّ موهبة الغناء، "أشهر أنواع الجواري وكان ثمن الجارية المغنية كبير جداً. وكانت الجواري المغنيات أكثر من الحرائر. وهناك من يشتري الجارية لحسن غنائها لتغني له وحده أو إنه يجمع أصحابِه في بيته للإستئناس وقضاء الوقت، ومنهم من يشتري الجواري المغنيات لكي يجعل من بيته نادياً يكسب من ورائه المال حيث يجتمع فيه الشباب ومحبوا الغناء. وأصبحت الجواري هيَّ خير الهدايا في بغداد، فقد أهدى الخليفة المهدي زوجته الخيزران ألف وصيفة... كما أهدت السيدة زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد إبنها محمد الأمين جواري جعلتهنَّ على هيئة غلمان [ألبستهن ملابس الرجال] ولذلك سُمينَّ بالغلاميات. كما حرص الولاة العَبَّاسيين على إهداء الجواري للخلفاء، كما كان الخليفة نفسه

[2] الجواري: مفردها جارية " هي الفتاة أو الفتية من النساء وبعد ذلك أصبح إسم الجواري يطلق على الإماء أي الجواري المملوكات، والجواري هُنَّ أشهر عناصر الرقيق في العَصر العَبَّاسي.(الأطرقجي، رمزية، 1982م، ص171).

يُهدي الجواري إلى وزرائه، وكذلك الوزراء يُهدُون الجواري إلى معارفهم" (الأطرقجي، رمزية 1982م، ص174،176).

إنَّ أصحاب الجواري في أول الأمر "كانوا يعمدون إلى أصحاب البشرة الصفراء والسوداء ممن يقعد بِهنَّ قلة نصيبِهن من إشراق الحسن وبياض البشرة، فيدفعونهن إلى من يعلمهن ويخرجهن في العزف على العُود والغناء ليكون ذلك أنفق لسوقهن... فيطلب فيهن الأُلوف وقد شاع ذلك وعظم الربح منه. إذ كان الخلفاء والأمراء وسائر وجوه الدولة... يتنافسون في إقتناء هؤلاء الجواري... علماً إن الغناء لم يكن مقصوراً على الجواري النوابغ المشهورات، بل كان شائعاً بين عامة الجواري [أي غير المعروفات أو قليلات الشهرة]. وكان في قصر الخلافة ما لا يحصى عدده وخاصة عند الخليفة هارون الرشيد. فقد ورد فيما ورد من أخبار الرشيد أن أُهديت له جارية في غاية الجمال، فأراد الإحتفال بذلك فأخرج كل قينة في داره وإصطبح . فكان من حضر من الجواري المغنيات والخدمة في الشراب زهاء ألفي جارية من أحسن زِي من كل نوع من أنواع الثياب والجوهر" (عبد الرحمن صدقي، 1957م، ص331–332).

"وكان الخليفة الأمين (809–813م) يقضي كل وقته مع الموسيقيين والقيان، وكان يجمع القيان لجمالهن من جميع أنحاء الإمبراطورية [بغداد]، وكانت حفلاته من أروع الحفلات وأكثرهن تكاليف" (هنري جورج فارمر،1956م، ص113). (ويحكى إن الأمين في جلسة من جلساته التي كانت مع رفاقه. وأشار الأمين بإشارة تم فهمها بالسماح لدخول الجواري للمجلس من أجل الغناء والعزف، إذ سمعوا عزف الأعواد على توقيع واحد، ونغم واحد، وإذا بباب من أبواب المجلس قد فتح وخرج سرب من الجواري وفي أيديهنَّ الأعواد، فمررن في المجلس عشرات عشرات يعزفنَّ على الأعواد عزفاً رخيماً، ويغنين بصوت واحد. فإذا فرغ العشر إنصرفنَّ من الباب الآخر وجاءت عشر أُخر وفي أيديهن أعواد أُخر، وهنَّ يغنين غناء آخر، فلما إنصرفنَّ جاءت عشر أُخر، وهكذا تمت عشرة أفواج أي مائة جارية). (جرجي زيدان،1984م، ص114).

فما يدل ذلك إلا على إزدهار الغناء عند الجواري كما إزدهار العُود وكثر عدده كآلة أساسية عند مصاحبة الغناء، وهذا ما يؤكده هنري جورج فارمر إذ يقول: (إنَّ جماعات كبيرة من القيان يعزفن على الأعواد في هذه الأيام (العَصر العَبَّاسي)، لأنها كانت الآلة الخاصة

التي يصحبِها المغنون، إذ كان المغنون يصحبون المعزفة والطنبور والمزمار والطبل والدف في المرتبة الثانية بعد العُود) (هنري جورج فارمر،1956م، ص130).

وتذكر سهام عبد الوهاب الفريح "بأن الغناء كان شائعاً في مجالس الخلفاء والأمراء والأعيان... وكان يوجد في هذه المجالس الكثير من القيان الحِسان. وكان للعامة مجالسهم التي تغني فيها القيان المحترفات، كما كنَّ يغنين في المتنزهات والمنتديات والأسواق ودور النخاسة" (الفريح، سهام عبد الوهاب، 1981م، ص61).

إن الدولة العَبَّاسية إهتمت بشكل كبير في "نشر العِلم والمعرفة وكان لها دورها في إزدهار الموسيقى والغناء... وإن إنفتاحها على الحضارات الأُخرى لعب دوراً بارزاً في تأثرها وتأثيرها في كل جوانب الحضارة والمعطيات الإنسانية. إن الموسيقى العربية لها كيانها الخاص وتدوينها الأصيل وإن إحتكت بمدنيات أو حضارات أُخرى، فما ذلك إلا إسترجاع لجذورها وسماتها السومرية والبابلية والتي تعتبر النبع الرئيس والمصدر الأساس والمعين الأول لظهور الموسيقى على وجه الأرض" (العامري، ثامر عبد الحسين، 1988م، ص19،22).

كانت الموسيقى في العَصر العَبَّاسي (750–1258م) "مبنية على أُسس متينة من القواعد والإصول، حتى إن الفنون الهارمونية التي يعتقد الكثيرون... بأنها فنون أُوروبية، هيَّ في الواقع فنون عربية أصيلة كما أوضح ذلك يعقوب الكندي في الرسالة العظمى في التأليف" (العقيلي[1]، مجدي، د.ت، ص15). "إذ لم يكن فن الهارموني عند قدماء العرب من العلوم المجهولة، بل يمكننا القول جازمين إن العرب هم أول من تعرفوا على هذه الدقائق الفنية الحساسة وتحسسوا بجمالها وأخذتهم روعتها، فلحنوا وأبدعوا في هذا الميدان وكانوا في عملهم هذا سُنَّة للتابعين، إذ ذكر الأصفهاني في كتابِه (الأغاني) إن إبن محرز أُستاذ المدرسة الموسيقية [العربية] القديمة قد دعا بدوره إلى الغناء المزدوج وإقتدى بِه من بعده أكثر المغنين، وكانوا يقولون: لا يمكن أن تتم الألحان بالأفراد وحدهم. وعندما ظهر الدور الثاني لمدرسة الشراح الإغريقيين شَعَرَ [الكندي] أُستاذ هذه المدرسة بوجوب تقوية اللحن المفرد. ووضع على أساس هذا المبدأ القواعد الأساسية للفنون الهارمونية في القرن الثالث الهجري والتاسع الميلادي إستجابة منه لهذا الشعور، إذ أوضح في رسالته (الرسالة العظمى في التأليف) [أو ما تعرف بـ الكتاب الأعظم في التأليف، أو رسالة الكندي في اللحون والنغم]

تحقيق زكريا يوسف[1]، طريقته الهارمونية في تمرين مبسط على العُود بصوتين، وكان إسلوبِه في هذا التمرين إسلوب المعلم البارع الذي تمكنه معرفته من السيطرة على مفاهيم طلابه بأسهل الطرائق، وأهون الأساليب" (العقيلي[1]، مجدي، د.ت، ص296).

2- العَصر العَبَّاسي الثاني (عصر الإنحطاط 847-945م).

وفي السياق ذاته جاء الدور للحديث عن الفنون الموسيقية والغنائية في عصر الإنحطاط. هذه الفنون التي كان لها الأثر الواضح في الحياة الإجتماعية الخاصة والعامة لبغداد .

"إكتسبت هذه المرحلة تسميتها من مقارنتها بما وصلت إليه الدول العَبَّاسية في العَصر السابق الذي سُميَّ (بالعَصر الذهبي)، وتعد هذه المرحلة مرحلة تأخر فكري وفني، وذلك نتيجة للإنحطاط السياسي" (البياتي، زينب صبحي عبد حسين،2002م، ص22). "فكانت الإنجازات الفكرية والعلمية والثقافية محدودة جداً بسبب ضعف السلطة الحاكمة لكونها أداة بيد التأثير الأجنبي" (الأوسي، طارق محمد علي كاظم، 2010م، ص13)، "وكان من أسباب هذا التدهور ظهور الجند الأتراك... الذي جلبِهم الخليفة المأمون (813-833م) إلى بغداد ليحدوا من نفوذ الجند الخراسانيين، وفي عهد المعتصم[2] (833-842م) كان جيش الخليفة كله مؤلفاً من هؤلاء الجند [الأتراك]، أما الجند والمدنيون العرب الذين أُسقطت أسماؤهم من ديوان الجند، فقد رجعوا إلى قبائلهم... وسرعان ما أصبح الترك المتزايدون على الدوام سادة الخلافة، وكانوا هم الذين يولون الخلفاء ويعزلونهم منذ الخليفة المعتز (862م) حتى مجيء البويهيين عام(945م) ولا يخامرنا الشك في إن سيادة هؤلاء الجند المرتزقة ساعدت مساعدة فعالة على الإنحطاط السياسي للخلافة" (هنري جورج فارمر، 1956م، ص162)، فلم يتمتع الخلفاء "بالكثير من السلطة وأصبحت الحياة الفكرية والعلمية إستهلاكاً متواصلاً لما أُنجز من قِبل ذلك العَصر الذهبي. وعلى الرغم من التدهور السياسي كان عصر الإنحطاط عصر

[1] يعد الباحث الموسيقي (زكريا يوسف) "أحد الباحثين العراقيين المرموقين ، والذي رفد المكتبة الموسيقية بتحقيق عدد زاخر من المؤلفات القيمة، ولد في محافظة نينوى عام (1911م) وتوفي في عام (1977م)". للإستزادة ينظر (الباحث الموسيقي زكريا يوسف ودوره في تحقيق وشرح مخطوطات الموسيقى العربية) مهيمن إبراهيم الجزراوي، 2009م، http://www.sama3y.net/forum/showthread.php?t=79665

[2] رأى المعتصم ثامن الخلفاء العباسيين إن "للأتراك شدة البأس والنجدة فأراد أن يُكوِّن منهم جيشاً. فإستكثر من غلمان الأتراك وأحضر منهم عدداً عظيماً فوق ما كان عليه في عهد أخيه المأمون وأسكنهم بغداد وإستغنى عن جيوش العرب بالمرة، بحيث لم يبقى مرتزق لعهده إلا من الأتراك أو الأبناء" (الخضري، محمد، 2003م، ص 220).

مجد موسيقي مثل العَصر الذهبي تقريباً" (محمد فريق محمد، 2014م، ص23–24)، "فلا زال الفنانون من الموسيقيين والمغنين مزدحمين في كل مكان وبالأخص في المحلات العامة والقصور المترفة، وبرزت متطلبات جديدة كان يجب أن تتوفر في الفنان لكي يتقدم ويبرز بين أقرانه، وكان عليه أن يحوز أشياء أُخرى غير المواهب الموسيقية" (هنري جورج فارمر،1956م،ص185)، إذ وجد بين الموسيقيين من إشتهروا "بالشعر والتأليف والقصص والظرف في المنادمة، وإن لم يوجد فنانين بارزين كالقدامى... كإبراهيم الموصلي أو إسحق الموصلي أو إبراهيم بن المهدي أو إبن جامع الذين إشتهروا في العَصر العَبَّاسي الأول (الذهبي)" (عمر رضا كحالة، 1972م، ص325).

كان الخليفة المتوكل (847–861م) أول خلفاء عصر الإنحطاط وعاشِر الخلفاء العَبَّاسيين وفي عهده "أُغتصبت مكتبة الكندي الفيلسوف والعالم العربي... لكن الإضطهادات لم تتسرب إلى ممارسة الموسيقى، لأن الخليفة [المتوكل] كان متيماً بذلك الفن" (هنري جورج فارمر، 1956م، ص165).

ولقد رعى المتوكل في هذه المرحلة أبرز الموسيقيين والمغنين وهم "عمر بن بانة، وأحمد بن صدفة، وبنان بن عمرو، وأبو علي الحسن المسدوه، وعبد الله بن أبي العلاء، وعمرو الميداني، وإبن القصار، وجحظة البرمكي، ومن المغنيات، محبوبة، وفريدة، وقمر وغيرهنَّ" (الجابري، وليد حسن، 2008م، ص17).

رغم كل مظاهر الإنحطاط والضعف والتردي السياسي "إحتفظت الموسيقى بإزدهارها الأصيل في البلاط العَبَّاسي. وفي بغداد مركز العالَم العربي والشرقي تمتعت العلوم الموسيقية بالكثير من عمقها وتأثير رسالتها، لكن ذلك لم يمنع أن تزدهر الموسيقى في أقطار عربية أُخرى وأن تكون مركز الإشعاع الفني والفكري، فقد شجع الحمدانيون في سوريا الفارابي الفيلسوف والعالم الموسيقي الكبير" (الهاشمي، عادل، 1985م، ص562).

إن دراسة تاريخ الموسيقى وسِير الفنانين وإصول الغناء ومبادئه "أصبحت من السمات البارزة في هذا العَصر [الإنحطاط]، فظهر المؤرخون والمترجمون [وكتَّاب الموسيقى العلمية النظرية] كالأصفهاني والمسعودي وإبن خرداذبة وغيرهم" (البياتي، زينب صبحي عبد حسين، 2002م، ص23)، كما "تطورت الموسيقى الآلية عامة تطوراً غير قليل في هذه الفترة، والوصف الدقيق للآلآت الموسيقية في كتاب الموسيقى [الكبير] للفارابي غاية في الأهمية، فالعُود لا يزال الآلة الشائعة عادةً، ولا يزال ذا أوتار أربعة في الشرق، وإن زاد [زرياب وتراً]

خامساً في الأندلس، وقد حدث هذا التجديد في القرن التاسع الميلادي" (عمر رضا كحالة، 1972م، ص324).

لقد "كانت الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس متواصلة في تطورها مع مراكز الخلافة في بغداد، فقد إنتقلت إليها معالم الحضارة العربية من خلال العلماء والفنانين وكذلك من خلال الكتب العديدة لكبار المؤرخين ومنها كتاب الأغاني [لأبي فرج الأصفهاني[1]]" (الأوسي، طارق محمد علي كاظم، 2010م، ص13).

"إستمرت بغداد حتى منتصف القرن التاسع الميلادي مركزاً حيوياً ينبعث منه إشعاعات النهضة الموسيقية العربية وكان الغناء هو مظهر النشاط الوحيد في موسيقانا، وفي أوائل القرن العاشر الميلادي بدأت الموسيقى العربية تتأثر بإذواق أُخرى بعضها فارسي والبعض الآخر تركي" (أبو عوف، أحمد شفيق، 1965م، ص41).

كان الخليفة المعتمد الخليفة العَبَّاسي الخامس عشر "(870–892م) من خلفاء عصر الإنحطاط [بعد المتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز والمهتدي]. إذ حاول وقف طغيان القوات التركية، بدافع من أخيه الموفق. وساعد إرجاع الخلافة إلى بغداد على إحيائها بعض الشيء. وكان الخليفة نفسه موسيقياً، أرجع الموسيقيين والقيان إلى البلاط في القصر المأموني أو الحسني، كما كان يسمى في ذلك الوقت" (هنري جورج فارمر، 1956م، ص166). لقد إنتهى هذا العَصر "في عام (945م) وعُرِفَ لدى المؤرخين بعصر الإنحطاط [847–945م] الذي دام قرناً من الزمان تقريباً" (البياتي، زينب صبحي عبد حسين، 2002م، ص 23).

3- العَصر العَبَّاسي الثالث (عصر السقوط 945–1258م).

إن من أبرز ملامح الخلافة في بغداد في عصر السقوط هو سرعة "الخطى نحو الإنهيار وإلى جانبيها شطر كبير من الثقافة التي أكسبتها الشهرة، ولكن لم يتجل التدهور الفكري والفني إلا في العراق وعاصمته [بغداد]" (هنري جورج فارمر، 1956م، ص209)،

[1]الأصفهاني:"(897–967م) تلقى علومه في بغداد، وقضى الكثير من حياته في جمع كتاب الأغاني، وما يبينه من ثقافة واسعة، فهو إلى جانب كونه تاريخاً للموسيقى العربية من أيام الجاهلية إلى أيام القرن العاشر [الميلادي]، كذلك يعد ذخيرة من الأخبار عن جميع مناحي حياة العرب الإجتماعية تقريباً" (الأوسي، طارق محمد علي كاظم، 2010م، ص 13).

وفي هذه العَصر "جاء الغزو البويهي (945–1055م) ليُحد من سيطرة الجند الأتراك غير الشرعية والتي هددت الدولة قرناً من الزمان تقريباً. ومن جانب آخر أعطى البويهيون الحرية للتفكير العلمي والفلسفي الذي سكن منذ وقت طويل" (أنمار علي حسين، 2014م، ص22).

"وتمتعت الموسيقى والفنون عامة بحرية أكبر كانت محرومة منها في عهد سيطرة الجنود الأتراك وأصبحت سلطة الخلفاء العَبَّاسيين[1] وهم: المطيع [946–974م]، والطائع [974–991م]، والقادر [991–1031م]، والقائم [1031–1075م]، ضعيفة أيام البويهيين، وإستمر دعم وتشجيع الموسيقى والغناء والآداب والعلوم عامة في عصر البويهيين، وشجعوا عملية جمع الأغاني، ولقي الفارابي والأصفهاني والمسعودي وغيرهم، كل دعم وتشجيع ورعاية" (الأوسي، طارق محمد علي، 2010م، ص14). كما قام "الخلفاء في عصر البويهيين بنفس الدور في الدعم والتشجيع والرعاية في قصورهم، كما كان الحال في العَصر الذهبي" (البياتي، زينب صبحي عبد حسين، 2002م، ص23).

ويخبرنا هنري جورج فارمر بأن "الحالة في العراق والعاصمة [بغداد] في منتصف القرن العاشر [الميلادي] تدعو إلى اليأس، عند الغزو البويهي... الذين كانوا فُرساً من الديلم، إذ كانوا يزحفون شيئاً فشيئاً منذ عام(933م). وبعد قرن من حكم الأمراء البويهيين، سيطر الترك السلاجقة[2] على أراضي الخلافة وفي عام (1055م)... [غزوا] العراق ودخلوا بغداد [و دام

[1] يذكر محمد الخضري بأن الخلافة العباسية (تحت سلطان آل بويه كانت لخمسة خلفاء، وهم بخلافة المستكفي[944–946م] والمطيع والطائع والقادر والقائم. وكان آل بويه الديلميين أصحاب النفوذ الحقيقي والسلطان الفعلي في العراق. خطر ببال (علي بن بويه) أن يمد سلطانه إلى الأهواز والعراق لما علمه من ضعف قوة الخليفة ببغداد وكان هو مشغولاً بإدارة بلاد فارس وأخوه (الحسن) مشغولاً ببلاد الجبل وأخوهما الأصغر (أحمد) لا شغل له، فسيره على الأهواز فإستولى عليها... وكان من أهم مقاصد إبن بويه المسير إلى العراق. فوصلها والخليفة المستكفي بالله بها، فقابله وإحتفى به وبايعه أحمد وحلف كل منهما لصاحبه هذا بالخلافة وذلك بالسلطة. وقد شرف الخليفة بنو بويه بالألقاب فلقب علياً صاحب بلاد فارس (عماد الدولة) وهو أكبرهم، ولقب الحسن صاحب الري والجبل (ركن الدولة)، ولقب أحمد صاحب العراق (معز الدولة) وأمر أن تضرب ألقابهم وكناهم على النقود... بعد ذلك صارت الوزارة لمعز الدولة يستوزر لنفسه من يشاء. ولم يمكث المستكفي في الخلافة بعد إستيلاء معز الدولة إلا أربعين يوماً وخلع لأن معز الدولة إتهمه بالتدبير عليهم فصمم على خلعه من الخلافة) (الخضري، محمد، 2003م، ص 347، 353، 355).

[2] السلاجقة: يعتبر السلاجقة "من عشائر الغز الكبير، تنسب إلى مقدمها سلجوق بن تقاق وكانت هذه العشيرة تقيم في بلاد تركستان تحت حكم ملك الترك (بيغوا). ووِجدت دولة السلاجقة بالعراق بعد القضاء على آخر سلاطين بني بويه وهو ما يسمى (الملك الرحيم)" (الخضري، محمد، 2003م، ص 386، 390).

حكمهم حتى عام1184م]. وكان الخلفاء العَبَّاسيين في وقت... [الغزو] السلجوقي هم: الخليفة القائم (1031–1075م) وتلاه الخليفة المقتدى (1075–1094م)، فالمستظهر (1094–1118م)، فالمسترشد (1118– 1135م)، فالراشد (1135–1136م)، فالمقتفى (1136–1160م)، فالمستنجد (1160– 1170م)، فالمستضيء (1170–1180م). وعلى الرغم من إتساع سلطة خلافة بغداد الدنيوية والدينية في عهد الأتراك السلاجقة عنها في عهد [الفرس البويهيين]، كان السلاجقة هم الحكام الحقيقيين" (هنري جورج فارمر، 1956م، ص210، 212– 214).

وفيما يخص خلفاء هذا العَصر (السقوط) المذكورين آنفاً فإنهم "دأبوا على الإسراف الموسيقي كما كان الحال في أيام الخلفاء العِظام، وعاش في عهد هؤلاء الخلفاء جماعة من الفلاسفة والعلماء والموسيقيين المعروفين بإسم (إخوان الصفا)... ولم تشجع الموسيقى والآداب والعلوم عامة في قصور الخلفاء وحدها، بل في قصور بني بويه أيضاً" (هنري جورج فارمر، 1956م، ص211).

وفي عهد السلاجقة "مُنح الخلفاء حرية واسعة، ومنحوا الفنون والآداب حرية أوسع وحماية أعظم" (البدر، أحمد جهاد خلف، 1998م، ص18)، "فأُنشأت المدرسة النظامية[1] في بغداد، ونال علماء الموسيقى كل تقدير، وإنتهى حكم السلاجقة عام (1184م)" (أنمار علي حسين، 2014م، ص22)، بدخول الخوارزم بدعوة من "الخليفة العَبَّاسي الناصر (1180–1225م) الذي كان جل همه إرجاع الخلافة إلى مكانتها القديمة بين الأُمم وبعد أن قضى الخليفة أربعة أعوام تحت نير السلاجقة إستدعى شاه خوارزم[2] لينقذه من خلافته الباهظة العبء. فوافق الشاه، ودخل العراق عام (1184م) وأفنى السلاجقة" (هنري جورج فارمر، 1956م، ص215). "ثم تلتها حقبة هادئة نسبياً فإزدهر العِلم وعنوا بالمدارس والمكتبات، وأضحت المدرسة المستنصرية التي بناها الخليفة المستنصر (1226–1242م) في بغداد، تحوي (80000) كتاب" (الأوسي، طارق محمد علي كاظم، 2010م، ص14).

[1] المدرسة النظامية: "تبدأ ببحوث صفي الدين عبد المؤمن الأرموي البغدادي الذي عاش في القرن الثالث عشر الميلادي، وتستمر زهاء ستة قرون، ويعتبر صفي الدين زعيم هذه المدرسة." (إبن المنجم، يحيى، 1964م، ص4).

[2] ينسب إلى [بيت] محمد بن أنوشتكين وكان أبوه أنوشتكين مملوكاً لأمير من أُمراء السلاجقة إسمه بلكباك... وولد له ولد أسماه (محمداً) وهو باني هذا البيت، وزال حكمهم عل يد التتر الذين هاجموا البلاد الإسلامية بزعامة جنكيز خان" (الخضري، محمد، 2003م، ص421).

وكان "المستعصم (1242–1258م) آخر خلفاء بغداد، وفي عهده كثرت حفلات الخلافة وسرفها، ولم يكن مجرد راعٍ للثقافة، بل عاش حياة الأُدباء وعُشّاق الكُتُب، وكان يقضي كثيراً من ساعات فراغه في الإستماع للموسيقى، وكان موسيقيه الأول ذو شهرة كبيرة في الموسيقى في التاريخ العربي وهو صفي الدين عبد المؤمن الأرموي البغدادي" (عمر رضا كحالة، 1972م، ص23). بالإضافة إلى أسماء علماء آخرين مثل "إبن النقاش، وأبي الحكم الباهلي، وفي الأندلس إبن باجة" (الأوسي، طارق محمد علي كاظم، 2010م، ص14).

في أواخر العَصر العَبَّاسي "تهيأت الظروف المناسبة لسلسلة من الغزوات على بغداد، وقد إنعكست آثار تلك الغزوات على الحياة الإجتماعية و الإقتصادية فيها، فبعد أن مرت بمراحل إزدهار ونمو عمراني ووظيفي وعلاقات واسعة مع أقاليم كبيرة، تعرضت في ضل تلك الغزوات لأحداث مدمرة جعلتها تمر بفترات من التدهور والركود" (الزبيدي، فخري، 1990م، ص167)، ففي "عام(1219م)... [غزا] جنكيز خان وجيوشه المغولية الأراضي الشرقية من الإمبراطورية الخوارزمية، وأكمل إبنه أكدي في العام (1231م) ذلك... [الغزو]. وفي العام (1256م) عبر هولاكو [خان] حفيد جنكيز خان نهر سيحون... وسار نحو بغداد الحضارة، وفي أوائل عام (1258م) حوصرت مدينة السلام، مدينة الموسيقى والعلم والأدب والفكر والثقافة وهوجمت وأُخذت. ثم تلت ذلك أسابيع من التقتيل والسلب والتدمير والحرق، تجعل تفاصيلها من سقوط بغداد أفضع الفصول وأعظمها إثارة للفزع في التاريخ" (الهاشمي، عادل، 1985م، ص566)، إذ إن "مليوناً وستمائة ألف من السكان الذين كانوا يزيدون على المليونين قتلوا أو أُفنوا. ومنهم الخليفة [المستعصم] وجميع أفراد عائلته الذين وضع المغول أيديهم عليهم. وأُحرقت القصور والمساجد والمدارس، أو دمرت بعدما نُهِبَت، وذبح العلماء والأساتذة والأُدباء، بالقسوة نفسها التي أُحرقت فيها مكتبات كاملة، هي ذخائر القرون، أو أُلقيت في نهر دجلة... إذ لا يمكن وصف الخسارة التي عاناها العِلم الإسلامي، وإنها لتتجاوز مدى الخيال. إذ لم تدمر آلاف الكتب الثمينة تدميراً كاملاً فحسب، بل دُمِّر مجرى الدراسة الصحيحة والبحث المبتكر تقريباً... وذلك بسبب العدد الذي هلك أو نجا بشق الأنفس من العلماء" (هنري جورج فارمر، 1956م، ص216) "وبذلك فقد تراجعت العلوم والآداب والفنون بعد ذلك المجد والعز الذي حضيت بِه، وبتلك الصورة إنتهت خلافة الدولة العَبَّاسية في بغداد" (البياتي، زينب صبحي عبد حسين، 2002م، ص25)، وإستمر "الظلام مخيماً على

بغداد ولسنوات طويلة حتى مجيء العثمانيين وحكمهم للعراق" (كمال لطيف سالم، 1985م ، ص5).

ومن الجدير بالذكر وإستكمالاً لأحداث عصر السقوط، كان لبغداد عهدين للحكم بعد غزوها من قِبل المغول، "العهد الأول حكم الدولة المغولية (1258–1338م) وقد سميت بالدولة الإيلخانية نسبة إلى لقب هولاكو (إيلخان)، أما العهد الثاني فهو حكم الدولة المغولية الجلائرية (1338–1411م)" (الأعظمي، علي ظريف، 1936م، ص108–122)، بعد ذلك "واجه العراق أنواعاً كثيرة من التحديات السياسية والعسكرية والفكرية [والفنية] والإقتصادية والإجتماعية، على يد القوات التركمانية الغازية" (الحمداني، طارق نافع، 1989م، ص7)، إذ "سقطت بغداد تحت حكم أُسرة تركمانية تسمى (قره قوينلو) [المسماة بالخروف الأسود] عام (1411م) ثم أعقبهم أُسرة تركمانية أُخرى تسمى (أق قوينلو) [المسماة بالخروف الأبيض] عام(1468م)، بعدها أصبحت بغداد مسرحاً للصراع بين الفرس والعثمانيين، وقد أودى هذا الصراع بكثير مما تبقى للمدينة من آثار ومعالم" (عماد عبد السلام رؤوف، 1985م، ص168)، ثم إستولى "الفرس على بغداد عام (1508م) وفي عام (1532م) إستولى العثمانيون عليها لأول مرة وما لبث الفرس أن إستعادوا سيطرتهم عليها عام (1623م) وفي عام (1638م) أُعيدت بغداد للمرة الثانية تحت الحكم العثماني الذي دام حتى عام (1917م)" (سليم طه، 1979م، ص224). لذا "أصبح من البديهي دخول كلمات فارسية وتركية إلى اللغة العربية في العراق في مختلف نواحي الحياة، ومنها الحياة الموسيقية والغنائية ومن المصطلحات المستخدمة إلى يومنا هذا (سيكاه، بنجكاه، دوكاه، ماهور) وغيرها بحيث أصبح لهذه المصطلحات الأجنبية مكانة كبيرة داخل المعاهد والكليات وجميع المرافق الموسيقية داخل القطر [العراق]، ونلاحظ إنَّ عدد من الباحثين العرب وغير العرب يؤكدون ويرسخون هذه المصطلحات في إعدادهم للمناهج الأكاديمية التي تعتمدها المنهجية في جميع البلاد العربية" (الحنفي، جلال، 1989م، ص23). ويتطلع الباحث لتبديل هذه المصطلحات بمفردات أُخرى عربية خالصة في المستقبل القريب.

لم تحدث تغيرات ذات أهمية كبيرة "في حياة العرب الإجتماعية في عصر السقوط، وظلت الموسيقى الأمر المرغوب فيه، ونالت من الحظوة التامة ما كانت تناله على الدوام. إذ إن فخر العلماء والأُدباء البارزين من أمثال أبي الصَلت أُمية، وإبن باجة، وأبي الحكم

الباهلي، وأبي المجد محمد بن أبي الحكم بمعرفتهم العزف على العُود، يبين لنا إنَّ فن الموسيقى كان لا يزال محترماً" (هنري جورج فارمر، 1956م، ص231).

وكان صفي الدين عبد المؤمن الأرموي (1216–1294م) الذي رأى غزو بغداد على يد المغول (1258م) "مهتماً بتدوين الألحان العربية والإيقاعات من خلال ضوابط وقياسات فنية إستعمل فيها الحروف الأبجدية والأرقام العربية" (البكري، عادل، د.ت، ص47) فجعل "إخراج الأنغام ممكناً وأصبح من اليسير عزفها على الآلآت الموسيقية وتدوينها بالنوتة الموسيقية المعروفة في وقتنا الحاضر. وقد أعطى في كتابه (الأدوار) نموذجاً تَكوَّن من أُغنيتين، الأولى منهما من مقام النوروز بإيقاع الرَمَّل وهي: (على حُبكم ياحاكمون ترفقوا) والثانية من مقام الكوشت ومن إيقاع الرّمَّل أيضاً وهي: (على الهجر لا والله ما أنا صابر)" (الجزراوي، مهيمن إبراهيم، 2004م، ص12–13).

ويُعَد "صفي الدين الأرموي، الموسيقي الأول لهذه الحقبة [السقوط] وتنسب إليه عدة إنجازات موسيقية هامة، فهو من وّزَّعّ أبيات الشعر [العربي] على الأنغام الموسيقية آنذلك، مع وضع عدد الضربات تحت كل نغمة" (البدر، أحمد جهاد خلف، 1998م، ص21)، وكذلك "أول من ثَبَّتّ التدوين الموسيقي من اليسار إلى اليمين" (الأرموي، صفي الدين عبد المؤمن، 1980م، ص16) ومن الجدير بالذكر إنَّ الأرموي "كان في بغداد حين خرابِها على يد هولاكو، فلما إستولى هولاكو على بغداد خرج إليه صفي الدين عبد المؤمن ودخل... [عليه] ، فأعجبِه مهارته في عزف العُود، فكان عقاره وأمواله مستثناة من كل حكم النهب والغارة" (هنري جورج فارمر، 1956م، ص268).

ويحدثنا عمر رضا كحالة بقوله: "إن الموسيقى العربية قد نالت عناية كبيرة من [المغول] الإيلخانيين أيام هولاكو وأخلافه... الجلائريين، وإن أصل الموسيقى العربية يرجع إلى العَصر العَبَّاسي الأخير، وكان ركنها الأساسي مؤلفات صفي الدين عبد المؤمن الأرموي حيث نالت شهرة عظيمة... وبه وبأمثاله من العلماء الموسيقيين مَثِّلت الموسيقى العربية جميع الأنغام الشرقية وضروبها. وأما الموسيقى المغولية فقد دخلت العراق بدخول هولاكو، غير إنها لم تتغلب [على الموسيقى العراقية]، بل ذابت في الموسيقى العراقية العربية ورعى المغول الإيلخانيين تطبيق موسيقاهم على ما عند العرب من عِلم في هذا الفن، إذ أصبحت غير مباينة أو غريبة النغمات وإن إختلفت المصطلحات والأسماء، وصارت تُعتبر موسيقاهم داخلة في عِداد الموسيقى العربية" (عمر رضا كحالة، 1972م، ص 349).

ظهرت في هذا العَصر (السقوط) "تراجم ومؤلفات باللغة الفارسية من قبل العلماء العرب، وهو نتيجة للإستعمار المغولي والصفوي، علماً إن اللغة الفارسية كانت لغة ثانية للمغول ومن هذه المؤلفات الموسيقية المهمة التي كتبت باللغة الفارسية، كتاب (جامع الألحان) لمؤلفه عبد القادر المراغي" (البدر، أحمد جهاد خلف، 1998م، ص22) الذي "وِلدَ عام (1354م) في أيام حكم الجلائريين للعراق. كما صار المغنون يراطنون الناس بألفاظ تركية وفارسية... وفي هذه الفترة ظهرت الكتب التي ذكر فيها لأول مرة كلمتي (دُمْ) و(تَكْ) في تدوين الإيقاع، وكذلك ظهور المؤلفات والرسائل الموسيقية التي ورد فيها ذكر السلم الموسيقي العربي ذي الأربع وعشرين نغمة والمعمول بِها حتى وقتنا الحاضر [في الموسيقى العربية]" (الرجب، هاشم محمد، 1982م، ص163،137). "ونختتم بحثنا هذا بوصف بغداد على وفق ما ذكره عادل الهاشمي بقوله: "بغداد تبقى في التاريخ جوهرة للعطاء والإشعاع الثقافي، ويبقى الفن الموسيقي اللوحة التي تؤرخ لبغداد جمالها النادر في التاريخ" (الهاشمي، عادل، 1985م، ص566).

نتائج البحث:

1. إن مدينة السلام (بغداد) هي عاصمة الخلافة العباسية منذ عهد الخليفة أبو جعفر المنصور (754–775م) وإنتهاءً بعهد الخليفة المستعصم (1242–1258م).
2. تعددت أسماء مدينة بغداد فمن أسماؤها (مدينة السلام، والمدينة المدورة).
3. شيد أبو جعفر المنصور قصره المعروف بإسم (باب الذهب) وجامعه في وسط مدينة بغداد، وقد شيد (قصر الخلد) خارج مدينة بغداد على نهر دجلة.
4. جعل أبو جعفر المنصور حوله كل قصور الأُمراء ورجال الدولة وكذلك أبنية مصالح الدولة.
5. تطورت مدينة بغداد ببناء ضاحيتي الرِصافة في الشرق والكرخ في الغرب.
6. شيدت في مدينة بغداد المساجد والقصور الفخمة والمستشفيات والمدارس.
7. أصبحت مدينة بغداد مركز العالم الشرقي وموطن الفن والأدب والعلم بل جميع النشاط الفكري.
8. جذبت مدينة بغداد العلماء والمفكرين والموسيقيين والمغنين والشعراء من جميع الأنحاء.

9. إرتبط الإزدهار الفني والعلمي بإستقرار الأوضاع السياسية وإزدهار الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية للعصر العباسي الأول الذهبي (750–847م) مما هيأ المناخ المناسب لتقدم الفن الغنائي والموسيقي.
10. إنتشرت في مدينة بغداد دور الكتب العلمية والأدبية وظهر في العصر الذهبي ممن كتبوا العديد من الرسائل والمخطوطات والكتب الموسيقية.
11. لكثرة إعجاب الناس بمدينة بغداد، كثر القول في وصفها بأرقى الأوصاف.
12. تطورت في مدينة بغداد فنون الغناء والموسيقى والرقص، نتيجة للتشجيع والدعم الذي ناله الفنانون من قبل الخلفاء، فإزدحم البلاط العباسي بالمغنين والموسيقيين وكذلك القيان المغنيات والعازفات.
13. إهتمام الخلفاء العباسيين بالعلماء والموسيقيين أدى إلى ظهور مؤلفات موسيقية نظرية وتاريخية في علوم الموسيقى وثبّتت قواعدها ونظرياتها من قِبل العلماء أمثال: الكندي والفارابي إبن سينا والأرموي.
14. تميز بعض الخلفاء العباسيين وبعض أبناءهم بإتقان الغناء والموسيقى والشعر.
15. أغدق الخلفاء العباسيين الميالين إلى سماع الموسيقى والغناء على المغنين والعازفين الكثير من المكافآت المالية، وغير ذلك من العطايا.
16. تكونت في مدينة بغداد مجموعة من المدارس لتعليم الغناء والعزف على العود.
17. بحث العلماء الموسيقيين أمور كثيرة تتعلق بالعلوم الموسيقية منها: التأليف الموسيقي وترتيب الأصوات وعلاقة الموسيقى بالشعر وعلوم النسب والمسافات الموسيقية وتصوير الأنغام وتركيب الأصوات والأوزان والإيقاع والأداء وصناعة الآلآت الموسيقية، ووصلوا إلى نتائج طيبة.
18. إهتم الموسيقيين في العصر العباسي بالتدوين الموسيقي بإستخدام الحروف الأبجدية العربية وهذا ما كان على سبيل المثال عند الكندي والأرموي.
19. أُسست في مدينة بغداد أول جامعة عربية سميت (بيت الحكمة)، لدراسة العلوم والفنون، وقد بناها الخليفة المأمون (813–833م) والتي إشتغل فيها فطاحل العلماء الموسيقيين الذين إهتموا بترجمة علوم اليونان والوقوف على أسرارها.
20. ظهر في العصر العباسي عازفين ماهرين على آلة العود من أمثال: منصور زلزل وإبراهيم الموصلي وإسحق الموصلي وزرياب.

21. ظهر في العصر العباسي جماعة من المغنيات من أمثال: فريدة وبذل وذات الخال ومتيم وعَريب ودنانير.
22. بواسطة آلة العود ظهرت في العصر العباسي مؤلفات موسيقية عالجت نظريات الموسيقى العربية.
23. جعل هارون الرشيد المغنين مراتب وطبقات لكفاءتهم ومقدرتهم المفنية.
24. لا ترى في مدينة بغداد إنساناً يعشق الغناء والطرب وليس في بيته قينة تطربه برخيم صوتها ونغمات عودها.
25. ظهر في مدينة بغداد الغناء المجرد من الآلآت الموسيقية وكذلك الغناء المصاحب للآلآت الموسيقية كالعود والمزمار.
26. كثرت في مدينة بغداد القيان المغنيات والعازفات كثرة مفرطة، وكان الخلفاء والأُمراء وسائر وجوه الدولة يتنافسون في إقتناء هؤلاء القيان الذين كان منهنَّ جماعات يعزفن على آلة العود كآلة أساسية.
27. مرت مدينة بغداد في العصر الثاني (الإنحطاط 847–945م) في مرحلة تأخر فكري وفني، وذلك نتيجة للإنحطاط السياسي، بسبب ظهور الجند الأتراك.
28. أصبح الجند الأتراك المتزايدون في مدينة بغداد هم سادة الخلافة، وكانوا هم الذين يولون الخلفاء ويعزلونهم منذ الخليفة المعتز (862م) حتى مجيء البويهيين عام (945م).
29. على الرغم من تواجد الجند الأتراك، كان عصر الإنحطاط عصر مجد موسيقي مثل العصر الذهبي تقريباً.
30. كان على الفنان في عصر الإنحطاط أن يحوز على أشياء أُخرى غير المواهب الموسيقية.
31. ظهرت سمة بارزة في عصر الإنحطاط وهي دراسة تاريخ الموسيقى وسير الفنانين وإصول الغناء ومبادئه، كما وظهرت المؤلفات الموسيقية النظرية للعلماء.
32. بقيت آلة العود في العصر العباسي هي الآلة الشائعة.
33. في العصر العباسي الثالث (عصر السقوط 945–1258م) تسارعت الخطى نحو إنهيار الدولة العباسية وفي هذا العصر جاء الغزو البويهي (945–1055م) ليحد من سيطرة الجنود الأتراك.

34. أعطى البويهيين الحرية للتفكير العلمي والفلسفي، وتمتعت الموسيقى والفنون عامة بحرية أكبر مما كانت عليه في عهد سيطرة الجنود الأتراك كما وأصبحت سلطة الخلفاء ضعيفة في عهدهم.
35. كانت حالة العراق العامة وعاصمته بغداد تدعو لليأس أبان الغزو البويهي.
36. سيطر الترك السلاجقة على أراضي الخلافة عام (1055–1184م) بعد حكم الأُمراء البويهيين.
37. إنتهى حكم السلاجقة عام (1184م) بدخول الخوارزم بدعوة من الخليفة الناصر.
38. كان الخليفة المستعصم (1242– 1258م) آخر الخلفاء العباسيين في مدينة بغداد وفي عهده كثرت حفلات الخلافة وسرفها. وكان موسيقيه الأول هو صفي الدين عبد المؤمن الأرموي البغدادي.
39. قام هولاكو خان عام (1258م) بمحاصرة مدينة بغداد، مدينة السلام، مدينة العلم والثقافة والموسيقى والأدب والفكر، وهوجمت وأُخذت وقتل الخليفة المستعصم وأفراد عائلته، ثم تلت ذلك أسابيع من القتل والسلب والتدمير والحرق، تجعل تفاصيلها من سقوط بغداد أفضع الفصول وأعظمها إثارة للفزع في التاريخ.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم. سورة يونس، آية 25.

1. الإختيار، نسيب. (1955م). الفن الغنائي عند العرب. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر.
2. الأرموي. (1980م). الأدوار. شرح وتحقيق: هاشم محمد الرجب. سلسلة كتب التراث192. بغداد: دار الراشد للنشر.
3. الأرموي. (1982م). الرسالة الشرفية في النسب التأليفية. شرح وتحقيق: هاشم محمد الرجب. سلسلة كتب التراث119. بغداد: دار الرشيد للنشر.
4. الأعظمي، علي ظريف. (1936م). مختصر تاريخ بغداد. بغداد: مطبعة التراث العربية.
5. أمينة بيطار. (1997م). تاريخ العَصر العَبَّاسي. ط4. (د.ب): (د.ن).
6. باشا، أحمد تيمور.(د.ت). الموسيقى والغناء عند العرب. القاهرة: لجنة نشر المؤلفات التيمورية.

7. بشير فرنسيس. (1959م). بغداد تاريخها وأثرها. ط1. بغداد: مطبعة الرابطة.
8. البكري، عادل.(د.ت). صفي الدين الأرموي مجدد الموسيقى العَبَّاسية. بغداد: دار الحرية للطباعة.
9. بلقيس محسن محمد. (1990م). تاريخ الفن العربي الإسلامي. بغداد: دار الحكمة.
10. تقي الدين عارف.(1985م). تأثيرات العراق الحضارية. موسوعة حضارة العراق. تقديم: نزار الحديثي. ج8. بغداد: دار الحرية للطباعة.
11. جرجي زيدان. (1984م). روايات تاريخ الإسلام – العباسة أُخت الرشيد. تقديم ودراسة: ناجي نجيب. (د.ب): مؤسسة دار الهلال.
12. الحجية، عزيز جاسم.(1981م). بغداديات. السلسلة الفولكلورية17. العراق: دار الرشيد للنشر.
13. الحفني[1]، محمود أحمد. (د.ت). الموسيقى العربية وأعلامُها من الجاهلية إلى الأندلس. ط2 . سلسلة التاريخ الموسيقي. (د.ب): (د.ن).
14. الحفني، محمود أحمد، و إبراهيم شفيق. (د.ت). تراثنا الموسيقي من الأدوار والموشحات. ج1. (د.ب) . (د.ت).
15. الحلو، سليم.(1975م). تاريخ الموسيقى الشرقية. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة.
16. الحمداني، طارق نافع.(1989م). ملامح سياسية وحضارية في تاريخ العراق الحديث والمعاصر. (د.ب): الدار العربية للموسوعات.
17. الحنفي، جلال. (1989م). مقدمة في الموسيقى العربية. بغداد: دار الحرية للطباعة.
18. خشبة، غطاس عبد الملك.(2009م). الموجز في شرح مصطلحات الأغاني. ط2.القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
19. الخضري، محمد. (2003م). محاضرات في تاريخ الأُمم الإسلامية – الدولة العَبَّاسية. مراجعة: نجوى عباس. القاهرة: مؤسسة المختار.
20. الخُلَعي، محمود كامل. (1975م). تذوق الموسيقى العربية. القاهرة: الناشر محمد الأمين.
21. الذَّهبي، محمد عبد الرضا. (1991م). الغناء في الشعر الشعبي العراقي. ط1. بغداد: مطبعة دار الجاحظ.

22. الرجب ، هاشم محمد. (1967م). حل رموز كتاب الأغاني للمصطلحات الموسيقية العربية. ط1، بغداد: مطبعة العاني.
23. ـــ، ـــــ. (1982م). الموسيقيون والمغنون خلال الفترة المظلمة من 1285م – 1904م. بغداد: دار الحرية للطباعة.
24. الزبيدي، فخري.(1990م). بغداد من 1900حتى سنة 1934 . ج1. بغداد: دار الحرية للطباعة.
25. زكريا يوسف. (1962م). موسيقى الكندي. بغداد: مطبعة شفيق.
26. الشوان، عزيز. (1990م). الموسيقى للجميع. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
27. شوقي ضيف. (1979م). الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أُمية. ط4. القاهرة: دار المعارف.
28. شوقي ضيف. (1987م). الفن ومذهبه في الشعر العربي. ط11. القاهرة: دار المعارف.
29. العامري، ثامر عبد الحسين. (1988م). الغناء العراقي. ط1. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية).
30. عبد الرحمن صدقي. (1957م). ألحان ألحان. مصر: دار المعارف.
31. العقيلي[1]، مجدي. (د.ت). السماع عند العرب. ط1. ج 1. دمشق: (د.ن).
32. العلاف، عبد الكريم. (1963م). الطرب عند العرب. ط2. بغداد: المكتبة الأهلية.
33. العلاف، عبد الكريم. (1969م). قيان بغداد في العَصر العَبَّاسي والعثماني والأخير. قدم لَهُ: علي الخاقاني. ط 1. منشورات دار البيان 49. بغداد: مطبعة دار التضامن.
34. عماد عبد السلام رؤوف. (1985م). المدينة العراقية. موسوعة حضارة العراق. تقديم: نزار الحديثي. ج1. بغداد: دار الحرية للطباعة.
35. عمر رضا كحالة. (1972م). الفنون الجميلة في العصور الإسلامية. دمشق: المطبعة التعاونية.
36. العمروسي، فايد. (د.ت). الجواري المغنيات. مصر: دار المعارف.
37. أبو عوف، أحمد شفيق. (1965م). أضواء على الموسيقى العربية. سلسلة الثقافة الموسيقية – الكتاب الثاني. (د.ب): (د.ن).

38. الفريح، سهام عبد الوهاب. (1981م). الجواري والشعر في العَصر العَبَّاسي الأول. ط1. الكويت: شركة الربيعان.
39. القيسي، ناهض عبد الستار. (2002م). النقود في العراق. مراجعة: عيسى سلمان. بغداد: بيت الحكمة.
40. الكرملي، أنستاس ماري. (1919م). خلاصة تاريخ العراق. مطبعة الحكومة في البصرة.
41. كمال لطيف سالم. (1985م). مغنيات بغداد . بغداد: دار آفاق عربية.
42. محمد محمود سامي حافظ. (1971م). تاريخ الموسيقى والغناء العربي. القاهرة: المطبعة الفنية الحديثة.
43. إبن المنجم، يحيى.(1964م). رسالة يحيى بن المنجم في الموسيقى. تحقيق: زكريا يوسف. القاهرة: دار القلم.
44. المهدي، صالح. (1975م). إصول الموسيقى. (د.ب): الدار التونسية للنشر.
45. النحوي، أبي طالب المفضل بن سلمى.(1985م). موجز في اللهو والملاهي. ملحق لكتاب الملاهي وأسمائها، تحقيق وشرح: غطاس عبد الملك خشبة. مركز تحقق التراث، د.ب: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
46. الهاشمي، عادل. (1985م). الموسيقى والغناء. موسوعة حضارة العراق. ج9. بغداد: (د.ن).
47. هنري جورج فارمر. (1956م). تاريخ الموسيقى العربية. ترجمة: حسين نصّار. مراجعة: عبد العزيز الأهواني. الألف كتاب (7). القاهرة: دار الطباعة الحديثة.

الرسائل والأطاريح:

48. الأطرقجي، رمزية. (1982م). **الحياة الإجتماعية في بغداد منذ نشأتها حتى نهاية العَصر العَبَّاسي الأول**. ط1. قسم التاريخ الإسلامي، كلية البنات، جامعة عين شمس. مطبعة الجامعة.
49. أنصار محمد عوض الله رفاعي. (2003م). **الإصول الجمالية والفلسفية للفن الإسلامي**. إطروحة دكتوراه، قسم علوم التربية الفنية، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان.

50. أنمار علي حسين. (2014م). **الخصائص اللحنية والإيقاعية للتهليلة والذكر القادري (دراسة تحليلية)**. رسالة ماجستير، قسم الفنون الموسيقية، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد: بغداد.

51. الأوسي، طارق محمد علي كاظم. (2010م). **البناء اللحني والإيقاعي للأُغنية البغدادية في عقد الأربعينيات (دراسة تحليلية)**. رسالة ماجستير، قسم الفنون الموسيقية، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد: بغداد.

52. البدر، أحمد جهاد خلف.(1998م). **الخصائص الموسيقية لأغاني أطوار الأبوذية (دراسة تحليلية)** . رسالة ماجستير، قسم الفنون الموسيقية، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد: بغداد.

53. البياتي، زينب صبحي عبد حسين. (2002م). **البناء اللحني والإيقاعي في الأُغنية البغدادية (دراسة تحليلية)**. رسالة ماجستير، قسم الفنون الموسيقية، كلية الفنون الجميلة. جامعة بغداد: بغداد.

54. الجابري، وليد حسن. (2008م). **الخصائص اللحنية والإيقاعية في الأُغنية البغدادية لعقد الستينيات (دراسة تحليلية)**. رسالة ماجستير، قسم الفنون الموسيقية، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد: بغداد.

55. الجزراوي، مهيمن إبراهيم. (2004م). **الخصائص اللحنية والإيقاعية في الأُغنية المرافقة للمقام العراقي (دراسة تحليلية)**. رسالة ماجستير، قسم الفنون الموسيقية، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد: بغداد.

56. العميد، طاهر مظفر.(1964م). **بغداد مدينة المنصور المدورة**. إطروحة دكتوراه، قسم الآثار، كلية الآداب جامعة بغداد.

57. محمد فريق محمد. (2014م). **الخصائص اللحنية والإيقاعية لأغاني البادية في العراق (دراسة تحليلية)**. رسالة ماجستير، قسم الفنون الموسيقية، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد: بغداد.

المجلات :

58. الجبوري، جميل. (1987م). لمحات من الحياة البغدادية في الأمس القريب. مجلة: آفاق عربية، **السنة12**. دار الشؤون الثقافية العامة.

59. سليم طه. (1979م). تاريخ بغداد. مجلة: المورد. **العدد4**. المجلد8. بغداد: دار الحرية للطباعة.

60. نبيل شوره. (1987م). الموسيقى والغناء في العَصر العَبَّاسي750 – 1258م .مجلة: آفاق عربية. **العدد 3**. السنة الثانية عشر.

المواقع الإلكترونية (الإنترنت):

61. http://www.almaany.com/ar/dict/ar- ar/% D8% A7% D9% 84% D9% 85% D8% AE% D9% 86%D8%AB%D9%8A%D9%86 /

62. http://www.sama3y.net/forum/showthread.php?t=79665